الخصب .. وعودة الضحايا

ركعت تصلي الفجر .. فانطفأت كليمات الصلاه
واستشعرت مر الذهول على الشفاه
كانت هنا الالفاظ ، وارتعشت باحرفها الحياة !!
وتحجر الزمن العصيب ، ولم تؤب اعيادها
وتهدلت اعواد فاكهة ولم تسر الحلاوة في عروق ثمارها
روح الخصوبة لم تزل في الطين فجرا غائما ،
في الصخر نهرا نائما ،
بجوانب الوادي نشيدا هائما
بحلاوة المجهول عيدا قادما
ملئت يداه من الاضاحي والذبائح والدما
ليخط بضعة اسطر حبلى عن امرأة تعيش عذابنا
ركعت تصلي الفجر .. فانطفأت كليمات الصلاه
وتذوقت الم الذهول على الشفاه
سكبت اغانيها مراهقة فلم يسمع لها الليل الطويل
وهبت لصوص الخمر سكر عصيرها
وهبت لصوص الخصب سمرة مائها
نفض الظلام على انوثتها أكف الجائعين
نفض الحفاة على ارائكها رمال الغزو جيلا بعد جيل
والنهد والشمع المخضب والرخام
والعرض .. آه .. العرض عرته الاسنة والسيوف
جاء العلوج ليفضحوا الشمع المخضب في الطريق
فضحوه .. حتى عورة الشمع المخضب دنسوها
اكلوا هنيأ .. ثم ساروا متخمين ،
تركو لها جيلا من النسل الهجين
ضاعت فحولته ، وزيف وجهه الثلج الدفين
وتمزقت اسماؤه تحت الغزاة العابرين من القرون
روح الخصوبة لم تزل في الطين فجرا غائما ،
في الصخر نهرا نائما ،
بجوانب الوادي نشيدا هائما
بحلاوة المجهول عيدا قادما
حمل الصحائف والدواة لكي يخط ملاحما
عن يقظة النسل الهجين اذا تخبط في الدما
ليلون الوجه المزيف بالاصالة واللهيب ،
ليعيش مأساة الملوحة في التراب ،
ومرارة الجدب المذوب في الثمار
وروائح الموت المعلق في الافيق
وليستر الام الهتيكة في الطرق
ويعيد للعرض السليب ازاره ، ويعيد ايام الحياء
ويعيد ايام العطاء
بحلاوة المجهول عيدا قادما
يهب التراب عبيره الخلاق والنبع البرود النائما
ويردد الوادي النشيد الهائما
الفاظه الحمراء تحكي قصة النسل الهجين
لما تطهّر وجهه تحت السنابك والغزاة العابرين
لما راى معناه في صمت الضحايا الطيبين
شهداؤه ماتوا .. وفي اعماقهم ضحك سجين
وهواجس خرساء تهتف : من سيجني القمح من صدر الحقول ؟!
كنا رويناه الدم الصافي .. ومتنا جائعين
وسواد اعينهم نداءات خفيات الرنين :
« انزل على الجرح المخضب يا ندى
رطّب مزاقدنا الاليمة يا ندى
وادعُ الصخور لترحم العظم المهشّم ياندى
واترك بنا رمقا هزيلا يا ردى
لنعود في احفادنا نغما وعيدا قادما
فنذوق طعم القمح في افواههم
ونذوق طعم الخمر في كاساتهم
ونحس ان دما سفحناه يدبُ بصدرهم
عزما ، وافراحا ، واعيادا رقيقات النغم
يا ليل .. فلتدفن بقايانا اذا شبع الصغار
سنعود عاما بعد عام نأكل القمح بأفواه الصغار
ياكرم .. فلتسكب بحصرمك الحلاوة والخمور
سنعود في احفادنا نجنيك .. ان طلع النهار .. »

***

روح الخصوبة فارس هدم الجدار
لتمر منه الريح حاملة رمال الغزو من صدر الطريق :
وتعود حاملة عبير النهر من دار لدار
وتقول للوادي الذي فتح العيون على الشروق :
عاد الكبار الميتون ليشربوا خمرا
قد اعتصرته اجيال الصغار
هيا اعدوا المائدة ...

القاهرة — **محمد عفيف مطر**